

\* تفسير روح المعاني / الالوسي (ت 1270 هـ) مصنف و لم يتم تدقيقه بعد

## { قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ }

{(1)}

{ قُلْ أَعُوذُ } وَ قُرِءَ فِي السُّورَتَيْنِ بِحَذْفِ الهمزة وَ نُقِلَ حَرَكَتُهَا إِلَى اللّامِ كَمَا قُرِءَ

{فخذ أربعة}

[البقرة:260] { رَبِّ النَّاسِ } أَي مَالِكُ أُمُورِهِمْ وَ مُرَبِّيهِمْ بِإِفَاضَةِ مَا يُصْلِحُهُمْ وَ دَفَعُ مَا يَضُرُّهُمْ وَ أَمَالَ النَّاسُ هُنَا أَبُو عَمْرٍو وَالدُّورِيُّ عَنِ الكِسَائِيِّ وَ كَذَا فِي كُلِّ مَوْضِعٍ وَقَعَ فِيهِ مَجْرُورًا.

{ مَلِكِ النَّاسِ } (2)

{ مَلِكِ النَّاسِ } عَطْفُ بَيَانٍ عَلَى مَا اخْتَارَهُ الرَّمَحْشَرِيُّ جِيءَ بِهِ لِبَيَانِ أَنَّ تَرْبِيَّتَهُ تَعَالَى إِيَّاهُمْ لَيْسَتْ بِطَرِيقِ تَرْبِيَّةِ سَائِرِ الْمَلَائِكِ لِمَا تَحْتَ أَيْدِيهِمْ مِنْ مَمَالِكِهِمْ بَلْ بِطَرِيقِ الْمَلِكِ الْكَامِلِ وَ التَّصَرُّفِ الْكُلِّيِّ وَ السُّلْطَانِ الْقَاهِرِ وَ كَذَا قَوْلُهُ تَعَالَى:

{ إِلَهِ النَّاسِ } (3)

{ إِلَهِ النَّاسِ } فَإِنَّهُ لِبَيَانِ أَنَّ مُلْكَهُ تَعَالَى لَيْسَ بِمُجَرَّدِ الإِسْتِيْلَاءِ عَلَيْهِمْ وَ الْقِيَامِ بِتَدْبِيرِ أُمُورِ سِيَاسَتِهِمْ وَ التَّوَلَّى لِتَرْتِيبِ مَبَادِيءِ حِفْظِهِمْ وَ جَمَاعَتِهِمْ كَمَا هُوَ قَصَارَى أَمْرِ الْمُلُوكِ بَلْ هُوَ بِطَرِيقِ الْمَعْبُودِيَّةِ الْمُؤَسَّسَةِ عَلَى الْأُلُوْهِيَّةِ الْمُفْتَضِيَّةِ لِلْقُدْرَةِ التَّامَّةِ عَلَى

التَّصَرُّفِ الْكُلِّيِّ فِيهِمْ إِحْيَاءٌ وَ إِمَاتَةٌ وَ إِجَادًا وَ إِعْدَامًا وَ جَوَزَتْ الْبَدَلِيَّةُ أَيْضًا وَ أَنْتَ تَعْلَمُ أَنَّهُ لَا مَانِعَ مِنْهُ عَقْلًا ثُمَّ مَا هُنَا وَ إِنْ لَمْ يَكُنْ جَامِدًا فَهُوَ فِي حُكْمِهِ وَ لَعَلَّ الْجَزَالَهَ دَعَتْ إِلَى اخْتِيَارِهِ وَ تَخْصِيصِ الْإِضَافَةِ إِلَى النَّاسِ مَعَ انْتِظَامِ جَمِيعِ الْعَالَمِ فِي سَلِكِ رُبُوبِيَّتِهِ تَعَالَى وَ مَلَكُوتِهِ وَ أُلُوهِيَّتِهِ عَلَى مَا فِي الْإِرْشَادِ لِلْإِرْشَادِ إِلَى مِنْهَاجِ الْإِسْتِعَاذَةِ الْحَقِيقَةِ بِالْإِعَاذَةِ فَإِنْ تَوَسَّلَ الْعَائِدُ بِرَبِّهِ وَ انْتَسَبَ إِلَيْهِ بِالْمَرْئُوبِيَّةِ وَ الْمَمْلُوكِيَّةِ وَ الْعُبُودِيَّةِ فِي ضَمَنِ جِنْسٍ هُوَ فُودٌ مِنْ أَفْرَادِهِ مِنْ دَوَاعِي مَزِيدِ الرَّحْمَنِ وَ الرَّأْفَةِ وَأَمْرِهِ تَعَالَى بِذَلِكَ مِنْ دَلَائِلِ الْوَعْدِ الْكَرِيمِ بِالْإِعَاذَةِ لَا مُحَالَةَ وَ لِأَنَّ الْمُسْتَعَاذَ مِنْهُ شَرَّ الشَّيْطَانِ الْمَعْرُوفِ بَعْدَاوَتِهِمْ فَفِي التَّنْصِيصِ عَلَى انْتِظَامِهِمْ فِي سَلِكِ عِبُودِيَّتِهِ تَعَالَى وَ مَلَكُوتِهِ رَمَزَ إِلَى انْجَائِهِمْ مِنْ مَلَكَةِ الشَّيْطَانِ وَ تَسَلُّطِهِ عَلَيْهِمْ حَسْبَمَا يَنْطَبِقُ بِهِ قَوْلُهُ تَعَالَى:

**{ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ }**

[الإسراء: 65] واقتصر بعض الأجلة في بيان وجه التخصيص على كون الاستعاذة هنا من شر ما يخص النفوس البشرية وهي الوسوسة كما قال تعالى:

**{ مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ } (4)**

{ مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ } وَبِحِثِّ فِيهِ بَعْدَ الْإِعْمَاضِ عَمَّا فِيهِ مِنَ الْقُصُورِ فِي تَوْفِيَةِ الْمَقَامِ حَقُّهُ بِأَنَّ شَرَّ الْوَسْوَاسِ كَمَا يَلْحَقُ النَّفُوسَ يَلْحَقُ الْأَبْدَانَ أَيْضًا وَفِيهِ شَيْءٌ سَنَشِيرٌ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى إِلَيْهِ وَاخْتَارَ هَذَا الْبَاحِثُ فِي ذَلِكَ أَنَّهُ لَمَّا كَانَتْ الْإِسْتِعَاذَةُ فِيمَا سَبَقَ مِنْ شَرِّ كُلِّ شَيْءٍ أَضِيفَ الرَّبُّ إِلَى كُلِّ شَيْءٍ أَيْ بِنَاءِ عَلَى عَمُومِ الْفَلَقِ وَ لَمَّا كَانَتْ هُنَا مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ لَمْ يُضَفْ إِلَى كُلِّ شَيْءٍ وَ كَانَ النَّظَرُ إِلَى السُّورَةِ السَّابِقَةِ يَقْتَضِي الْإِضَافَةَ إِلَى الْوَسْوَاسِ لَكِنَّهُ لَمْ يُضَفْ إِلَيْهِ حَطًّا لِدَرْجَتِهِ عَنْ إِضَافَةِ الرَّبِّ إِلَيْهِ بَلْ إِلَى

المستعبد وكان في هذا الحط رمزاً إلى الوعد بالإعادة وهو الذي يجعل لما ذكر حظاً في أداء حق المقام وربما يقال إن في إضافة الرب إلى الناس في آخر سورة من كتابه تذكير الأول أمر عرفوه في عالم الذر وأخذ عليهم العهد بالإقرار به فيما بعد كما أشار إليه قوله تعالى:

**{وإذا أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى}**

[الأعراف:172] الآية فيكون في ذلك تحريض على الاستعاذة من شر الوسواس لئلا يتدنس أمر ذلك العهد وفيه أيضاً رمز إلى الوعد الكريم بالإعادة وذكر القاضي أن في النظم الجليل إشعاراً بمراتب الناظر المتوجه لمعرفة خالقه فإنه يعلم أولاً بما يرى عليه من النعم الظاهرة والباطنة أن له رباً ثم يتغلغل في النظر حتى يتحقق أنه سبحانه غني عن الكل وذات كل شيء له ومصرف أمره منه فهو الملك الحق ثم يستدل به على أنه المستحق للعبادة لا غير ويندرج في وجوه الاستعاذة المعتادة تنزيلاً لاختلاف الفات مترلة اختلاف الذات فإن عادة من ألف به هم أن يرفع أمره لسيدة ومربيه كوالديه فإن لم يقدر على رفعه رفعه لملكه وسلطاه فإن لم يزل ظلامته شكاه إلى ملك الملوك ومن إليه المتشكي والمفوع وفي ذلك إشارة إلى عظم الآفة المستعاذ منها ولابن سينا ههنا كلام تتحج منه الأقلام كما لا يخفى على من ألم به وكان له بالشريعة المطهرة أدنى إمام وتكرير المضاف إليه لمزيد الكشف والتقدير والتشريف بالإضافة وقيل لا تكرر فإنه يجوز أن يراد بالعام بعض أفراده فالناس الأول بمعنى الأجنة والأطفال المحتاجين للتربية والثاني الكهول والشبان لأنهم المحتاجون لمن يسوسهم والثالث الشيوخ المتعبون المتوجهون لله تعالى وهو على ما فيه يبعده حديث إعادة الشيء معرفة وإن كان أغلبياً والوسواس عند الزمخشري اسم مصدر بمعنى الوسوسة والمصدر بالكسر وهو صوت

الحلي والهمس الخفي ثم استعمل في الخطرة الردية وأريد به ههنا الشيطان سمي بفعله  
مبالغة كأنه نفس الوسوسة أو الكلام على حذف مضاف أي ذي الوسواس وقال  
بعض أئمة العربية أن فعلل ضربان صحيح كدحرج وثنائي مكرر كصلصل ولهما  
مصدران مطردان فعلة وفعالل بالكسر وهو أقيس والفتح شاذ لكنه كثر في المكرر  
كتتمتام وفأفاء ويكون للمبالغة كفعال في الثلاثي كما قالوا وطواط للضعيف وثرثار  
للمكثر والحق أنه صفة فليحمل عليه ما في الآية الكريمة من غير حاجة إلى التجوز أو  
حذف المضاف وقد تقدم في سورة الزلزال ما يتعلق بما المبحث فتذكر فما في العهد  
من قدم والظاهر أن المراد الاستعاذة من شر الوسواس من حيث هو وسواس ومآله إلى  
الاستعاذة من شر وسوسته وقيل المراد الاستعاذة من جميع شروره ولذا قيل من شر  
الوسواس ولم يقل من شر وسوسة الوسواس قيل وعليه يكون القول بأن شره يلحق  
البدن كما يلحق النفس أظهر منه على الظاهر وعد من شره أنه كما في «صحيح  
البخاري» يعقد على قافية رأس العبد إذا هو نام ثلاث عقد مراده بذلك منعه من  
اليقظة وفي عد هذا من الشر البدني خفاء وبعضهم عد منه التخبط إذا لحق عند أهل  
السنة أنه قد يكون من مسه كما تقدم في موضعه وقوله تعالى: { اَلْخَنَّاسِ } صيغة  
مبالغة أو نسبة أي الذي عادته أن يخنس ويتأخر إذا ذكر الإنسان ربه عز وجل أخرج  
الضياء في «المختارة» والحاكم وصححه وابن المنذر وغيرهم عن ابن عباس قال ما من  
مولود يولد إلا على قلبه الوسواس فإذا عقل فذكر الله تعالى خنس فإذا غفل وسوس  
وله على ما روى عن قتادة خرطوم كخرطوم الكلب ويقال إن رأسه كرأس الحية  
وأخرج ابن شاهين عن أنس قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول

## { أَلَّذِي يُوسُّوسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ } (5)

{ أَلَّذِي \* يُوسُّوسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ } قيل أريد قلوبهم مجازاً وقال بعضهم إن الشيطان يدخل الصدر الذي هو بمرتلة الدهليز فيلقى منه ما يريد إلقاءه إلى القلب ويوصله إليه ولا مانع عقلاً من دخوله في جوف الإنسان وقد ورد السمع به كما سمعت فوجب قبوله والايان به ومن ذلك أن الشيطان ليحري من ابن آدم مجرى الدم ومن الناس من حمله على التمثيل وقال في الآية أنها لا تقتضي الدخول كما ينادي عليه البيان الآتي وقال ابن سينا الوسواس القوة التي توقع الوسوسة وهي القوة المتخيلة بحسب صيرورتها مستعملة للنفس الحيوانية ثم إن حركتها تكون بالعكس فإن النفس وجهتها إلى المبادي المفارقة للقوة المتخيلة إذا أخذتها إلا الاشتغال بالمادة وعلائقها فتلك القوة تختص أي تتحرك بالعكس وتجذب النفس الإنسانية إلى العكس فلذلك تسمى خناساً ونحوه ما قيل إنه القوة الوهمية فهي تساعد العقل في المقدمات فإذا آل الأمر إلى النتيجة خنست وأخذت توسوسه وتشككه ولا يخفى أن تفسير كلام الله تعالى بأمثال ذلك من شر الوسواس الخناس والقاضي ذكر الأخير عن سبيل التنظير لا على وجه التمثيل والتفسير بناء على حسن الظن به ومحل الموصول أما الجر على الوصف وأما الرفع والنصب على الذم والشتم ويحسن أن يقف القارئ على أحد هذين الوجهين على { الخناس } وأما على الأول ففي «الكواشي» أنه لا يجوز الوقف وتعقبه الطيبي بأن في عدم الجواز نظراً للفاصلة وفي الكشف أنه إذا كان صفة فالحسن غير مسلم اللهم إلا على وجه وهو أن الوقف الحسن شامل لمثله في فاصلة خاصة.

## { مِنْ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ } (6)

{ مِنَ الْجِنَّةِ وَ النَّاسِ } بَيَانُ لِلَّذِي يُوسُوسُ عَلَى أَنَّهُ ضَرْبَانِ جِنِّيٌّ وَ إِنْسِيٌّ كَمَا قَالَ تَعَالَى:

### { شَيْطَانِ الْإِنْسِ وَ الْجِنِّ }

[الأنعام:112] أَوْ مُتَعَلِّقٌ بِ«يُوسُوسُ» وَ مِنْ لابتداء الغاية أي يوسوس في صدورهم من جهة الجن مثل أن يلقي في قلب المرء من جهتهم أنهم ينفعون ويضرون ومن جهة الناس مثل أنت يلقي في قلبه من جهة المنجمين والكهان أنهم يعلمون الغيب وجوز فيه الحالية من ضمير يوسوس والبدلية من قوله تعالى:

### { مِنْ شَرِّ }

[الناس:4] بإعادة الجار وتقدير المضاف والبدلية من الوسواس على أن من تبعية وقال الفراء وجماعة هو بيان للناس بناء على أنه يطلق على الجن أيضاً فيقال كما نقل عن الكلبي ناس من الجن كما يقال نفرور رجال منهم وفيه أن المعروف عند الناس خلافه مع ما في ذلك من شبه جعل قسم الشيء قسيماً له ومثله لا يناسب بلاغة القرآن وإن سلم صحته وتعقب أيضاً بأنه يلزم عليه القول بأن الشيطان يوسوس في صدور الجن كما يوسوس في صدور الإنس ولم يقم دليل عليه ولا يجوز جعل الآية دليلاً لما لا يخفى وأقرب منه على ما قيل أن يراد بالناس الناسي بالياء مثله في قراءة بعضهم

### { مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسِ }

[البقرة:199] بالكسر ويجعل سقوط الياء كسقوطها في قوله تعالى:

### { يَوْمَ يَدْعُ \* الدَّاعِ }

[القمر:6] ثم يبين بالجنة والناس فإن كان كل فرد من أفراد الفريقين مبتلي بنسيان حق الله تعالى إلا من تداركه شوافع عصمته وتناوله واسع رحمته جعلنا الله ممن نال من

عصمته الحظ الأوفى و كمال له مولاه من رحمته فأوفى ثم أنه قيل أن حروف هذه السورة غير المكرر اثنان وعشرون حرفاً وكذا حروف الفاتحة وذلك بعدد السنين التي أنزل فيها القرآن فليراجع وبعد أن يوجد الأمر كما ذكر لا يخفى أن كون سني النزول اثنتين وعشرين سنة قول لبعضهم والمشهور أنها ثلاث وعشرون اهـ ومثل هذا الرمز ما قيل إن أول حروفه الباء وآخرها السين فكأنه قيل بس أي حسب ففيه إشارة إلى أنه كاف عما سواه ورمز إلى قوله تعالى:

**{ ما فرطنا في الكتاب من شيء }**

[الأنعام:38] وقد نظم ذلك بعض الفرس فقال

**: أول وآخر قرآن زجه با آمد وسين يعني اندرد وجهان رهبر ما قرآن بس**  
ومثله من الرموز كثير لكن قيل لا ينبغي أن يقال إنه مراد الله عز وجل نعم قد أرشد عز وجل في هذه السورة إلى الاستعانة به تعالى شأنه كما أرشد جل وعلا إليها في الفاتحة بل لا يبعد أن يكون مراده تعالى على القول بأن ترتيب السور بوحيه سبحانه من ختم كتابه الكريم بالاستعاذة به تعالى من شر الوسواس الإشرارة كما في الفاتحة إلى جلالة شأن التقوى والرمز إلى أنها ملاك الأمر كله وبها يحصل حسن الخاتمة فسبحانه من ملك جليل ما أجل كلمته والله در التتويل ما أحسن فاتحته وخاتمته.